doi.org/10.52866/esj.2021.01.17.02

# التَبَدُّلَاتُ الصَّوْتيَّةُ بين الأَصْوَاتِ الشَفَوِيَّةِ في اللَّهْجَةِ البَغْدَادِيَّةِ المُعاصِرَةِ

د. علي حمد عبدالعزيز الشيخ حمد
كلية الإمام الأعظم الجامعة / قسم أصول الدين

**المستخلص :**

من الحتميات اللغوية التي يؤمن بها الدارسون في المجال اللغوي مسيرة اللغة بمستوياتها المختلفة نحو التطور الدائم والمستمر، بطيئًا ذلك التطور عبر القرون والأجيال، أو سريعًا عاجلًا يمكن ملاحظته من أبناء الجيل الواحد، ومن وجوه ذلك التطور هو التغيرات والتبدلات الصوتية التي تطرأ على بعض أصوات اللغة، تحكم هذه التبدلات مجموعة من القوانين الصوتية التي رصدها الباحثون والمهتمون بدراسة التطور اللغوي، ولغة الكلام في اللهجات الدارجة هي الأكثر عرضة لمثل هذه الظواهر اللغوية الحتمية، واللهجة البغدادية المعاصرة التي عليها مدار البحث واحدة من تلك اللهجات التي انحدرت من العربية الفصحى بتحريفات على بعض الأصوات في بعض مفردات اللهجة المذكورة، وقد جمع البحث عددًا من المفردات التي تعرضت للتبدلات الصوتية بين الأصوات الشفوية تحديدًا، كما ورصد البحث هذه التبدلات في اللغة العربية الفصحى واللغات السامية، مما يدلل على فاعلية هذا النوع من التطور قديمًا وحديثًا وفي مختلف اللغات.

**الكلمات المفتاحية :** التبدلات الصوتية، الأصوات الشفوية، اللهجة البغدادية

**Abstract:**

One of the linguistic imperatives that learners of the linguistic field believe in is the march of language at its various levels towards permanent and continuous development, slowing that development over centuries and generations, or rapidly and rapidly which can be observed from the children of the same generation, and from the aspects of that development are the changes and phonological changes that occur in some of the sounds of the language These changes are governed by a set of phonemic laws that researchers and those interested in studying linguistic development have monitored.

Speech language in vernacular dialects is the most vulnerable to such inevitable linguistic phenomena, and the contemporary Baghdad dialect on which the research is conducted is one of those dialects that descended from classical Arabic with distortions and changes to some of the sounds in some of the vocabulary of the aforementioned dialect, and the research monitored a number of vocabulary that have been subjected to changes The phonemic is among the oral voices in particular, and the research also monitored this type of changes in classical Arabic and Semitic languages, which indicates the effectiveness of this type of development, in the past and present, and in various languages.

**key words:** Voice changes, oral voices, Baghdad dialect .

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد: فإنَّ اللهجات العامية العربية اليوم هي نموذج مُنحدرٌ من العربية الفصحى، مولودٌ من رحمها، مع بعض الانحرافات اللغوية المتعلقة بالأصوات أو البنية أو التركيب أو الدلالة، ويُتَتَبَّتُ من ذلك الميلاد بأدنى ملاحظة وتتبع لأصوات هذه اللهجات ومفرداتها وبنيتها وتراكيبها المختلفة، بعد مقارنتها بالعربية الفصحى ومادة دواوينها ومعاجمها المعتمدة، مع وضوح لا يكاد يخفى لظواهر التطور اللغوي التي تتعرض لها هذه اللهجات؛ استجابةً لقوانين التطور التي لا تنفك عنها لغة من اللغات الحية، خصوصًا بوجهها المتداول كثير الاستعمال.

ومما تعرفه اللغات عمومًا -ومنها العربية ولهجاتها اليوم- ويندرج تحت مسمى التطور اللغوي في مجاله الصوتي هي (التبدلات الصوتية)، التاريخية منها أو التركيبية، وهي تلك التغيرات التي تتعرض لها أصوات اللغة الواحدة، بوقوع الإبدال أو التناوب والتعاقب بين بعض الأصوات في المفردة الواحدة، يُرخِّص ذلك في العادة التقارب المخرجي لهذه الأصوات التي تجري عليها ظاهرة الإبدال والتعاقب، مع سهولة هذا النوع من التطور على الجهاز الصوتي البشري، وسلامة الدلالة عند أبناء اللغة والمتكلمين بها.

وهنا جاء البحث ليُسلِّط الضوء على صورة من صور التطور اللغوي في سِجلِّ لهجة عربيةٍ محددة، لها أصالتها وحضورها وثروتها اللغوية، ببحث «التبدلات الصوتية التاريخية» التي تظهر في اللهجة البغدادية المعاصرة، مع رصدٍ واستقراءٍ وبيانٍ لذات الظاهرة الصوتية في سِجلَّات اللغة العربية الفصحى وأخواتها من اللغات السامية؛ ليتحقق بذلك الجهد والدرس وجهٌ من وجوه البيان عن علاقة هذه اللهجات بأصولها أولًا، وخضوعها جميعًا لذات القوانين الصوتية الحاكمة على مسيرة التطور اللغوي الصوتي العام.

إنَّ طبيعة البحث الذي يُوَجَّه نحوه جهدُ الباحث تقتضي -عمليًّا وعلميًّا- اتباع المنهج الوصفي، بقسميه -التقريري والتفسيري-، ففي مثل هذه الدراسات يُصارُ إلى الوصفية عادةً؛ لرصد الظواهر اللغوية المختلفة في اللغة مجردةً، وتفسيرها وتعليلها بذات المنهج في خطوة أخرى، وربما مقارنتها في بعض المحطات البحثية، وهنا يمكن أن يكون للمنهج التاريخي أو التاريخي المقارن أو التقابلي محلًّا في سياق هذا البحث؛ وذلك لمعالجة بعض هذه الزوايا اللغوية وتحليلها، استنادًا إلى ما توفر تحت يد الباحث من مصادر ومدونات تعالج ذات القضايا وتبحث في ذات السياق.

ولا يستقيم منهج البحث إلا بالوقوف عند محطتين: تُعنى الأولى منهما بالتنظير حول عنوان البحث ومرجعياته العلمية، وتوضيح المفاهيم وتقرير المُسَلَّمات وفكَّ اشتباك المعضلات والمتداخلات في موضوع البحث. لتتوجه الثانية نحو التطبيق والاستشهاد الذي يفك شفرة المفاهيم النظرية ويحرر مناطها. ولهذا فقد حرص الباحث أن يشتمل البحث على موازنة بين المحطتين.

ومما تجدر الإشارة إليه في مقدمة هذا البحث هو إمكانية ملاحظة هذه التبدلات على بعض الأصوات اللغوية من خلال علاقة الباحث باللهجة البغدادية -محلَّ الدراسة والبحث-، واندماجه الفعلي بها انتسابًا وهويةً، ومن خلال معايشة أبنائها والناطقين بها والتفاعل معهم لغويًّا دون تلقين أو تكلُّف، بعد الاستناد إلى الوسائل والخطوات الحثية المنهجية التي

يُستعانُ بها لتحصيل المادة اللغوية المقصودة، ومن تلك الوسائل:

**أولًا**: مقارنة أصوات اللفظ الواحد في اللهجة البغدادية المعاصرة بلفظه العربي الفصيح، الموثَّق في أسفار العربية ومعاجمها القديمة أو الحديثة؛ ليتميز بتلك المقارنة الصوتُ الأصلي في اللفظ، عن الصوت البديل أو الطارئ.

**ثانيًا**: مقارنة أصوات اللفظ البغدادي بأصله إن كان دخيلًا على اللهجة من لغات أخرى، فبعض الألفاظ العامية المستعملة اليوم دخيلة في اللهجة البغدادية، وبهذه الخطوة يتحدد وجه التطور الصوتي في اللفظ، بعد ردِّ اللفظ إلى لغته الأم.

**ثالثًا**: وجود اللفظ الواحد في اللهجة البغدادية الدارجة مستعملًا بنُطقين، كل نطق يحمل صوتًا مختلفًا، يتضح من هذا التعاقب والتنوع الصوتي في ذات المفردة أنَّ أحد اللفظين هو أصل والثاني مُطوَّر عنه.

والبحث الذي بين أيدينا منحصر في الحدود المكانية التي هي مجموع المساحة الجغرافية لمدينة بغداد وضواحيها، ليسهل على الباحث منفردًا رصد هذه الظواهر اللغوية على ألسنة الناطقين باللهجة وتوثيقها، وتطويق البحث بالمنهج العلمي الذي يراعي حدود المكان محل الدراسة، كما أنَّ الحدود الزمانية محددة أيضًا، وذلك بما يقارب عقدًا من الزمن، منذ عام 2010م وحتى عام 2020م، وهي المدة الزمنية التي نشطت رغبة الباحث فيها للملاحظة والتوثيق والرصد، فيكون البحث مطوَّقًا بحدود الزمان والمكان.

وقد جاء البحث الموسوم «التَبَدُّلَاتُ الصَّوْتيَّة بين الأَصْوَاتِ الشَفَوِيَّةِ في اللَّهْجَةِ البَغْدَادِيَّةِ المُعاصِرَةِ» على مقدمة وخاتمة وبينهما مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم الإبدال الصوتي وأنواعه. وفيه:
المطلب الأول: مصطلح الإبدال في اللغة.
المطلب الثاني: أقسام الإبدال الصوتي وحدودها.
المطلب الثالث: أسباب الإبدال الصوتي ودواعيه.
المبحث الثاني: التبدلات بين الأصوات الشفوية. وفيه:
المطلب الأول: تحديد الأصوات الشفوية. المطلب الثاني: الإبدال بين الأصوات الشفوية.

ويُختم البحث بسرد قائمة المصادر والمراجع التي استُعين بها في محطات البحث المختلفة، سائلًا الله الكريم التوفيق والسداد في البدء والختام، وهو المولى سبحانه والمعين، والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول
## مفهوم الإبدال الصوتي وأنواعه

المراد بمصطلح «التَبَدُّلَاتُ الصَّوْتيَّة» التي هي صدر عنوان البحث هي مجموع التغيرات النطقية التي تطرأ على أصوات العربية وتؤول بها إلى أصوات أخرى، أو ما يقع على تلك الأصوات من تناوب وتعاقب بين صوتين في كلمة واحدة، تُعرف هذه التبدلات الصوتية ويُعَبَّرُ عنها بمصطلح الإبدال أيضًا، وليس ثمة فارق بين الاصطلاحين، غير أنَّ الأول دالٌّ على التعدد والتنوع؛ لذلك جعلته عنوانًا للبحث، وستتضح مجموع هذه المفاهيم وأقسامها وأسبابها في المطالب التالية:

### المطلب الأول: مصطلح الإبدال في اللغة:

**الإبدال في اللغة**: من الجذر الثلاثي (بدل)، قال ابن فارس: «الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يُقال: هذا بدل الشيء وبديله. ويقولون بَدَّلْتُ الشيء: إذا غَيَّرْتُهُ وإن

لم تأت له ببدل»[1].

والبديل: البدل. وبدل الشيء: غيره. يقال بَدَلٌ وبِدْلٌ لغتان... وأبدلتُ الشيء بغيره. وبَدَّلَه الله من الخوف أمنا... وتبديل الشيء أيضا: تغييره وإن لم يأت ببدل. واستبدل الشيء بغيره وتبدله به، إذا أخذه مكانَه. والمُبادَلَةُ: التَبادُلُ[2]. والْبَدَلُ من كل شَيء خَلَفٌ منه[3].

وقال ابن سيده (ت458هـ): بِدْلُ الشَّيء، وبَدَلُه وبَدِيلُه: الخَلَفُ منه، والجمع: أبدال، وتَبَدَّلَ الشَّيء، وتَبَدَّلَ به، واسْتَبْدَلَه، واسْتَبْدَلَ به، كلُّه: اتَّخَذَ منه بدلًا. وأبدلَ الشّيءَ من الشَّيء، وبَدَّلَهُ: تَخِذَ منه بدلاً[4].

«والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر، كإبدالك من الواو تاء في تالله، والعرب تقول للذي يبيع كل شيء من المأكولات: بَدَّال، والعامة تقول: بَقَّال»[5]. قال أبو حاتِم: سُمِّيَ به لأنه يُبَدِّلُ بيعاً ببيع، فيبيعُ اليومَ شيئًا وغدًا شيئًا آخر. قال أبو الهيثم: والعامَّةُ تقول: بَقَّالٌ[6].

وقد يرد على الذهن مصطلح (العِوَض) إلى جانب ذكر مصطلح (البدل)، إلا أنه ثمة فرق دقيق بين المصطلحين، فالفرق بين العِوَض والبدل: أنَّ العِوض ما تعقب به الشيء على جهة المثامنة، وتقول: هذا الدرهم عوضٌ من خاتمك، وهذا الدينار عوض من ثوبك. ولهذا يُسمى ما يُعطي الله الأطفال على إيلامه إياهم إعواضا.

والبدل: ما يُقام مقامه، ويُوقع موقعه على جهة التَّعَاقُب دون المثامنة، ألا ترى أنك تقول لمن أساء إلى من أحسن إليه: إنه بدَّل نعمته كفرًا؛ لأنه أقام الكفر مقام الشكر. فلا تقول: عَوَضه كفرًا؛ لأنَّ معنى المثامنة لا يصح في ذلك، ويجوز أن يقال: العِوَض هو البدل الذي يُنتفع به، وإذا لم يُجعل على الوجه الذي ينتفع به لم يسمَّ عوضًا. والبدل هو الشيء الموضوع مكان غيره لينتفع به[7].

ومن هذه المعاني جاء المعنى الاصطلاحي للمصطلح اللغوي (الإبدال أو التبدل أو التعاقب) الصوتي، وكما سيتضح ذلك بعد إيراد أقسامه وبيان تعريفاتها عند أصحاب الفن والتخصص في المطلب التالي.

**المطلب الثاني: أقسام الإبدال الصوتي وحدودها:**

بعد أن وقفنا على المفهوم اللغوي المعجمي لمصطلح «الإبدال» ومشتقاته لا بد لنا من معرفة أقسام هذا الإبدال كما هو مقرر عند المختصين من دارسي اللغة؛ ليتضح المعنى الاصطلاحي والمفهوم التخصصي الدقيق لهذا المبحث اللغوي، والإبدال الصوتي كما يُبَيِّنُ الدكتور رمضان عبد التواب وغيره من الباحثين ينقسم إلى قسمين:

**الأول**: الإبدال الصوتي التاريخي: ويعني بهذا (الإبدال) أو (التغيير) كما يسميه الدكتور رمضان أحيانًا أو «التبدلات» كما اصطلحنا عليها في هذا البحث هو تلك التغيرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتاً آخر.

**الثاني**: الإبدال الصوتي التركيبي: وهو عبارة عن

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: مادة (بدل) 1/ 210.
(2) الصحاح، الجوهري: مادة (بدل) 4/ 1632.
(3) تهذيب اللغة، الأزهري: مادة (خلف) 7/ 170.
(4) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: مادة (بدل) 9/ 338.
(5) لسان العرب، ابن منظور: مادة (بدل) 11/ 48.
(6) ينظر: تاج العروس، الزبيدي: مادة (بدل) 28/ 67.
(7) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: 237.

التغيرات التي تصيب الأصوات اللغوية من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة[1].

ومن خلال هذه الحدود لكلا القسمين أرى أن الإبدال التاريخي يمكن تصنيفه بأنه إبدال كُلِّي أو فوناتيكي في جميع سياقات الكلام، أما الإبدال التركيبي فهو تغير وإبدال جزئي فنولوجي يتصل بسياق خاص ومحدد.

وعلى هذا فيمكن تسمية الإبدال الصوتي التاريخي بـ «التغيرات الصوتية التاريخية» كما سماها الدكتور رمضان عبد التواب[2]، أو «التغيرات الاتفاقية للأصوات» أو «الإبدال الصوتي الاتفاقي» كما يسميها الدكتور يحيى عبابنة[3]. أو التبدلات الصوتية كما هو عنوان هذا البحث، والواضح أن جميع هذه المصطلحات دالة على المعنى المراد تحقيقه والإشارة إليه.

وتختلف التغيرات التاريخية للأصوات عن التغيرات التركيبية في أمرين[4]:

**الأول**: التغيرات التركيبية سريعة، تحدث للصوت بمجرد أن يدخل تركيبًا بينه وبين أحد أصواته تنافر، كتأثر تاء الافتعال وتحولها إلى طاء بمجرد أن يكون فاء الافتعال صادًا أو ضادًا أو طاءً أو ظاءً. أما التغيرات التاريخية فلا تحدث إلا ببطء شديد، وخلال قرون وأجيال. بل إنها لشدة بطئها لا يمكن لأبناء الجيل الواحد أن يشعروا بها خلال كل حياتهم.

**الثاني**: التغيرات التركيبية مشروطة بالتركيب ومحدودة به، فما يكاد الصوت يخرج منه حتى يسترد شكله الذي كان له، فتاء الافتعال تعود تاءً بمجرد نزع ما قبلها من أصوات الإطباق. أما التغيرات التاريخية فمطلقة. بمعنى أنها إذا أصابت صوتًا ما فإنها تصيبه في كل تركيب من تراكيب اللغة. كما حصل للضاد العربية القديمة التي اختفت من النطق العربي.

والذي نختص ببحثه ودراسته في هذا الكتاب هو الإبدال أو التغير الصوتي التاريخي، الذي يقع في اللهجة البغدادية المعاصرة؛ وذلك أن هذا الإبدال هو أكثر وضوحاً وأميز في الملاحظة، أما الإبدال التركيبي فإنه يحتاج إلى نصوص كثيرة لاستقرائه ورصده وصياغة قوانينه الحاكمة، إضافة إلى أنه يتطلب دقة عالية في البحث[5]، ولعلنا نفرد له بحثاً آخر فيما يتعلق بتطبيقاته في اللهجة البغدادية.

ويقسم الدكتور يحيى عبابنة الإبدال الصوتي التاريخي إلى قسمين:

**الأول**: الإبدال المطلق: وهو التغير الذي يطرأ على صوت من الأصوات في لغة ما، ويؤدي إلى تغيير في صفاته جميعها، بحيث يتحول إلى صوت آخر في جميع سياقاته اللغوية.

**الثاني**: الإبدال المقيد: وهو مجموعة التغيرات التي تطرأ على صوت من الأصوات في لغة ما، وتؤدي إلى تغيير صفاته جميعها في بعض سياقاته اللغوية[6].

وتشير الدكتورة آمنة الزعبي إلى أن بعض التحولات في العربية هي تحولات مقيدة، ظلت العربية تحتفظ فيها بالصورة العتيقة إلى جانب الصورة الجديدة، ودخلت الصورتان معا في المعجم

(1) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب: 24.
(2) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبد التواب: 24.
(3) ينظر: اللغة الكنعانية، يحيى عبابنة: 121، واللغة النبطية، يحيى عبابنة: 132.
(4) المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري: 261-262.
(5) ينظر: اللغة المؤابية في نقش ميشع، يحيى عبابنة: 37.
(6) ينظر: اللغة المؤابية في نقش ميشع، يحيى عبابنة: 37.

العربي[1]. وهو ما سنجده ظاهرًا في كثير من المفردات اللغوية التي تنتمي إلى معجم اللهجة البغدادية المعاصرة، وتندرج تحت هذا النوع من التطور الصوتي.

فالإبدال الصوتي التاريخي هو تغير ينتاب صوتاً من الأصوات في كل سياقاته اللغوية، كتحول الأصوات الاحتكاكية إلى نظيرها الانفجاري، فتتحول الذال مثلاً إلى دال كما في (ذهب) التي ينطقها المصريون (دهب)، أما التركيبي فهو يتسبب عن ورود الصوت في بيئة معينة فتتغير صفاته تغيراً تركيبياً آنياً، حتى إذا زال التركيب عاد الصوت إلى أصله، كما في كلمة (اصطبر) التي تأثرت بالتركيب فتغيرت تاء افتعل إلى طاء[2].

ويشير صاحب الراموز إلى أن الإبدال الصوتي ينقسم إلى قسمين: إما مطرد عند جميع العرب أو غير مطرد، والمطرد هو الذي إن وجد شرطه وجب تحققه وهو الإبدال، كإبدال تاء الافتعال دالا في (ادعا) وطاء في الطرد –اطَّرَدَ–، كذلك التبدلات الصوتية، التي تناولها علماء التجويد، كالقلب، والإخفاء، وإدغام النون الساكنة ونحو ذلك[3].

إضافة إلى هذا فإنه يشترط في التبدل الصوتي الذي يسمى بالتعاقب أن تكون بين الصورتين المتعاقبتين علاقة صوتية قوية، كالقرب في المخرج، أو التماثل في الصفات الصوتية، ومثال القرب في المخرج: (مده / مدح) و (بن / بل) و (صراط / سراط) و (الصقر / السقر)، ومثال التماثل في الصفات: (انات / الناس) و (العانت / العانس)[4].

ويميز فندريس في التغيرات الصوتية بين تلك التغيرات التي تحدث بالاستبدال من تلك التي تحدث بالتطور، فهناك تطور عندما يتحول صوت إلى صوت من تلقاء نفسه بطريق التجديد الطبيعي، وهناك استبدال وهو الناتج عن طريق الاستعارة والمحاكاة وليس تجديدًا طبيعيًّا في اللهجات[5].

لذلك يقول علي زوين: يجب علينا أن نميز بين نوعين من التغيرات الصوتية هما: تغير بالاستبدال، وتغير بالتطور، والحدود بين النوعين دقيقة جدا، وربما اختلط النوعان على الباحثين، ولا سيما إذا كانت اللغة المعنية متعددة اللهجات المحلية. والتغير الصوتي بالتطور هو تحول صوت إلى صوت من تلقاء نفسه بطريق التجدد الطبيعي، أما التغير بالاستبدال فيتم عن طريق المحاكاة[6].

و»في كثير من اللغات يعتدي حرف على حرف، فيستبدل أحدهما بالآخر؛ لتأثير كلمة في أخرى: فالكاف اللاتينية (c) تنقلب في الفرنسية شينًا (ch)، إذا وقعت قبل فتحة قديمة (a)»[7].

**المطلب الثالث:**

**أسباب الإبدال الصوتي ودواعيه:**[8]

من الأمور المعروفة جيدًا أن نطق لغة ما لا

(1) ينظر: التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 13.

(2) ينظر: النظام اللغوي للهجة الصفاوية، يحيى عبابنة: 175.

(3) ينظر: الراموز على الصحاح، السيد محمد بن السيد حسن: 38.

(4) ينظر: الراموز على الصحاح، السيد محمد بن السيد حسن: 38.

(5) ينظر: اللغة، فندريس: 75.

(6) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين: 61.

(7) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: 286.

(8) ينظر في ذلك: بحث: دواعي الإبدال في اللغة العربية، فاطنة أبو الغيث، مجلة عود الند، مجلة ثقافية شهرية، نشر: د. علي الهواري، http://www.oudnad.net/spip.php?article219.

يبقى على حاله دائمًا، بل يتعرض خلال تاريخه إلى تغيرات عديدة، تكون أحيانًا بطيئة، واحيانًا أخرى سريعة[1]. و«من النادر جدًا أن يكون نظام الطفل الصوتي بعد أن تنتهي مرحلة التعليم مماثلا تمامًا لنظام والديه. بل إن من علماء الصوت من يذهب إلى أن ذلك لا يقع مطلقا»[2].

والمهم في الأمر أن هذه التغيرات الصوتية حتمية في أي لغة من لغات العالم، ولا يمكن أن تعود هذه التغيرات الطارئة على أصوات اللغة إلى سبب واحد، وإنما هناك مجموعة من الأسباب والدواعي التي تقف وراء هذه المسيرة الحتمية. فـ«النظام الصوتي بعيد كل البعد من أن يكون ثابتًا طوال تطور لغة من اللغات»[3].

وقد عرض الدكتور إبراهيم أنيس مجموعةً من الأسباب التي يمكن اعتمادها في تفسير مسيرة التطور اللغوي الصوتي، ومن ذلك اختلاف أعضاء النطق، والبيئة الجغرافية، والحالة النفسية للشعب المعين أو الفرد، يضاف إليها نظرية السهولة، ونظرية الشيوع، ومجاورة الأصوات، وانتقال النبر وغيرها[4].

وتشير الدكتورة آمنة الزعبي إلى أن مجموعة القوانين الصوتية هي التي تؤثر في اللغات عمومًا وتؤدي إلى هذه التبدلات والتغيرات الصوتية، وذلك كقانون السهولة والتيسير، وقانون الحذلقة والتفصح، وقانون الأصوات الحنكية، وقانون انحلال الصوت المركب، إضافة إلى أخطاء السمع، وتقارب الأصوات في المخرج والصفات، كل ذلك يسهل عملية التطور الصوتي ومنه التبدلات الصوتية[5].

(1) علم الأصوات، برتيل مالمبرج: 255.
(2) اللغة، فندريس: 64.
(3) اللغة، فندريس: 64.
(4) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 213-237.
(5) ينظر: التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 6 - 8.

كما أنَّ للجغرافيا اللغوية وتغير الحياة كلها اجتماعيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا أثرًا في تحديد تلك التغيرات وتوجيهها، علاوة على دور علم الأصوات التركيبي ومجمل القوانين الصوتية في صياغة هذه التغيرات وضبط مسيرتها[6].

ويؤكد بعض الباحثين على أن أكثر شواهد الإبدال في العربية تعود إلى اللهجات العربية المختلفة، فيقول الدكتور صبحي الصالح في ذلك: إنها -أي التبدلات الصوتية- «من قَبِيل تنوّع اللهجات، وقد مرّت بمراحل طويلة تطوّرت فيها الأصوات، وتأثّر بعضها ببعض، بسبب التجاور والتقارب في صفاتها ومخارجها[7].

لكن من الضروري جدًا لأي باحث العلم بأنَّ «اللغة الإنسانية واقع اجتماعي، ولا يمكن تفسير التغيرات التي تتعرض لها العادات اللغوية لمجموعة من الناس إلا في إطار التحولات في المجتمع بشكل عام. فمن الخطأ أن نحاول عزل لغة عن وسطها الذي لا تفهم بدونه، وهي تعكس خواصه الثابتة، كما تعكس ما فيه من تحولات»[8].

## المبحث الثاني
## التبدلات بين الأصوات الشفوية

### المطلب الأول: تحديد الأصوات الشفوية:

يشتمل مصطلح «الأصوات الشفوية»[9] في عُرف الأصواتيين المُحدَثين على مجموعة من الأصوات اللغوية، التي تُنسب إلى الشفتين من حيث المخرج،

(6) ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج: 255-261.
(7) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: 512.
(8) علم الأصوات، برتيل مالمبرج: 256.
(9) يُسمى الصوت الذي يتم إنتاجه في الشفتين (الشفوي، أو الشفوي الثنائي، أو الشفتاني). ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 315.

وذلك وِفق التصنيف القديم والحديث للأصوات اللغوية، مع وجود بعض الفوارق بين الفريقين -القدماء والمُحْدَثين- في تعيين بعض هذه الأصوات وضبطها وتحديد مخارجها.

والشفتان: «هما عبارة عن صحيفتين عضليتين عريضتين، مكونتين من خيوط عضلية صادرة عن عضلات الوجه المختلفة، ومتحدة جميعًا في شكل إطار يحيط بفتحة الفم، وهذه العضلة إذا انقبضت سببت استدارة الشفتين وبروزهما إلى الأمام»[1].

وللشفتين وظيفة ملحوظة مع بعض الأصوات، بهذه الوظيفة صحَّت نسبة مجموعة من الأصوات اللغوية لهذا الموضع من الجهاز الصوتي، فالشفتان تنفرجان حينًا وتستديران أو تنطبقان حينًا آخر، وهكذا نلحظ تغييرًا في شكل الشفتين أثناء النطق، وتختلف عادات المتكلمين في استغلال حركة الشفتين والانتفاع بها[2].

ومن الشعوب من تتميز عادات النطق لديهم بكثرة الحركة في الشفتين، ومنهم من يقتصدون في هذا كالعرب بوجه عام، أو الناطقين باللغة العربية[3]. وهذا التنوع والتمايز في العادات النطقية ممكنٌ؛ لأنَّ الشفتين تعملان على زيادة فراغ الفم، وإطالته، وهذا يساعد على إخراج أصوات متنوعة ولا سيما الحركات[4].

وقد حدد الخليل (ت170هـ) الأصوات التي يقال لها «شفوية» فقال: «وثلاثة شفوية: (ف ب م) مخرجها من بين الشَّفَتيْن خاصة، لا تعمَلُ الشَّفتان في شَيء من الحُرُوف الصَّحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط»[5].

وأضاف سيبويه (ت180هـ) الواو، وأفرد الفاء بمخرج حين قال: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو»[6]. وتبع ابنُ جني (ت392هـ) سيبويه في هذا التصنيف[7]، وكذلك تبعه ابنُ الجزري (ت833هـ)، غير أنَّ ابن الجزري قَيَّد الواو بأنَّ المراد بها غير المدية، فقال:

«المخرج الخامس عشر للفاء، من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا. والمخرج السادس عشر للواو غير المدية والباء والميم بما بين الشفتين، فينطبقان على الباء والميم، وهذه الأربعة يقال لها: الشفهية والشفوية، نسبة إلى الموضع الذي تخرج منه، وهو الشفتان»[8].

وهذا التحديد للمخارج دقيق في أغلب أحواله، ومطابق مع نظرية المُحْدَثين في تحديد مخارج الأصوات، فيقول كانتينو في ذلك: «ونظرية مخارج الحروف عند النحاة العرب نظرية أحكموا ضبطها بعناية، فهم يقسمون مخارج الحروف إلى 16 مخرجًا ... وترتيب المخارج هكذا صحيح بصفة جلية ملحوظة، وموافق تقريبًا لترتيبنا نحن[9]».

فالشفتان في الدرس الحديث هما مخرج لثلاثة أصوات هي: الباء والميم والواو الصامتة، ليس في العربية غيرها[10]، أما الفاء فيوصف بأنه صوت شفوي أسناني[11]. وينبه الدكتور كمال بشر إلى أن

(1) أصوات اللغة، عبدالرحمن أيوب: 85. وينظر: دراسة السمع والكلام، سعد عبدالعزيز مصلوح: 140.
(2) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 21.
(3) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 21.
(4) ينظر: المصطلح الصوتي، عبدالعزيز الصيغ: 50.
(5) العين، الخليل: 1/ 51-52.
(6) الكتاب، سيبويه: 4/ 433.
(7) سر صناعة الإعراب، ابن جني: 1/ 61.
(8) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: 1/ 201.
(9) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو: 31.
(10) علم الأصوات، كمال بشر: 183.
(11) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 47.

إدراج الواو مع هذه المجموعة هو ما سار عليه علماء العربية في القديم، وهذا الوصف ليس خطأ؛ لأن للشفتين دخلًا كبيرًا في نطق هذا الصوت، ولكن الوصف الأدق كما يرى كمال بشر أن يقال: إنَّ الواو من أقصى الحنك، إذ عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك[1].

ويقول الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح: «الشفتان: منهما مخرج الباء والميم، كما يشتركان مع مؤخر اللسان والحنك اللين في إنتاج الواو المتحركة»[2]. كما وتشترك الشفتان مع الأسنان في صناعة صوت الفاء الذي يوصف بأنه صوت شفوي أسناني[3].

أما في غير العربية فيشبه الباء في الإنجليزية صوت (b) في نحو (boat)[4]، وثمة صوت هو نظير مهموس للباء، فالباء صوت شديد مجهور مرقق، يتم نطقه بضم الشفتين ورفع الطبق مع ذبذبة الأوتار الصوتية، وإذا لم تتذبذب ينتج صوت مهموس لا وجود له في العربية، ولكنه يوجد في اللغات الأوربية وبعض اللغات السامية، وهو صوت (p)[5].

ويشير الدكتور كمال بشر إلى أنَّ الباء العربي قد يُهمس في بعض مواقعه كالباء نحو (كتابْ) بسكون الباء، وفي هذه الحالة يصحب الإهماس حرمان الصوت من الانفجار الكامل؛ ولعل هذه أحد الأسباب التي من أجلها نص العرب على وجوب تحريك الباء بصويت أي: قلقلته، إذا كان ساكنًا؛ حتى يتحقق الانفجار والجهر التام[6]. وذكر الدكتور عبدالرحمن أيوب أصواتًا فرعيةً أخرى لهذا المخرج هي جزء من الأصوات الدولية[7]. لا يظهر منها صوت في اللهجة البغدادية المعاصرة.

والباء (B): صوت شفوي شديد مجهور مرقق[8]، يتم نطقه بضم الشفتين، ورفع الطبق، ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي، مع ذبذبة الأوتار الصوتية، فإذا بقيت كل الأوضاع المذكورة كما هي: فيما عدا الأوتار الصوتية، التي لا نجعلها تهتز، ينتج عندنا صوت آخر مهموس، لا وجود له في اللغة العربية، ولكنه يوجد في اللغات الأوربية، وبعض اللغات السامية، وهو صوت «p» فهو النظير المهموس للباء العربية[9].

وقد حرص القدماء على الجهر بهذا الصوت وهو مُشَكَّلٌ بذلك الرمز المسمى بالسكون، فأضافوا إليه صوت لين قصير جدًا يشبه الكسرة، وسموا تلك الظاهرة بالقلقلة، حرصًا منهم على

---

والأسنان من أعضاء النطق الثابتة في الجهاز النطقي، ولا سيما العليا منها، ولا تستغل في النطق إلا بمساعدة أحد الأعضاء المتحركة، كاللسان والشفة السفلى. ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 25.

(1) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: 183.

(2) دراسة السمع والكلام، سعد عبدالعزيز مصلوح: 174.

(3) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: 183، والمدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب: 43.

(4) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 160.

(5) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب: 42-43.

(6) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: 248-249.

(7) ينظر: أصوات اللغة، عبدالرحمن أيوب: 199-201.

(8) ويوصف الباء بإيجاز بأنه: «صامت مجهور شفوي = شفتاني انفجاري». ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: 129.

(9) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 42-43. ويوصف صوت الـ(**P**) بأنه: «صامت مهموس شفوي = شفتاني انفجاري». ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: 129.

إظهار كل ما في هذا الصوت من جهر، فلا يختلط بنظيره المهموس الذي يُرمز له في الكتابة الأوربية بالرمز (p)، لأن مهموس الباء ليس صوتًا أساسيًّا من أصوات اللغة العربية[1].

ورغم أن اللهجة البغدادية المعاصرة قد حافظت على صوت الباء (B) إلا أن الظاهرة الصوتية المُسماة بالقلقلة لا تبدو موجودة في اللهجات العامية الدارجة، إذ إنَّ القلقلة كما يبدو تتطلب مراعاة زائدة للنطق السليم، ومن الصعب تحقق هذا الوجه من العناية والصحة في نطق العوام وفي اللهجات الدارجة كثيرة الاستعمال، لكننا بكل تأكيد سنجد هذه الظاهرة واضحة مُحَقَّقَةً على وجهها الأمثل عند قراء القرآن الكريم، الذين يعتنون عناية فائقة بالدقائق الصوتية في نطق أصوات القرآن وتجويدها.

أما النظير المهموس للباء وهو صوت (p) فغير مستعمل في اللهجة البغدادية الدارجة، إلا في المفردات الأجنبية التي ينطقها المُتخصصون في العلوم التي تستعين بالمفردات الأجنبية في تقرير مصطلحاتها، وفي العادة يُبدِل العامةُ من الناطقين باللهجة هذا الصوت -(p)- باءً عربيةً فصيحة على نحو ما ألفوها، حين يستعملون اللفظ المشتمل عليه، فيُطوِّعونه لأقرب الأصوات العربية وهو الباء.

**وأما الميم (m)**: فهو صوت شفوي أنفي مجهور، لا هو بالشديد ولا بالرخو، بل مما يُسمَّى بالأصوات المتوسطة[2]، وينطق بأن تنطبق الشفتان تمامًا، فيحبس خلفهما الهواء، ويخفض الطبق، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، وبقاء اللسان في وضع محايد[3].

وقد حافظت اللهجة البغدادية الدارجة على وجود صوت الميم (m) على ألسنة العامة والمثقفين الفصحاء على حدٍّ سواء، مع تعرض الصوت لعدد من التبدلات الصوتية العارضة في عدد من المفردات اللغوية اللهجية، التي سيأتي بيانها لاحقًا.

وأما **الفاء (f)**: فهو صوت شفوي أسناني رخو مهموس مرقق، يُنطق بأن تتصل الشفه السفلى بالأسنان العليا اتصالًا يسمح للهواء أن يمر بينهما فيحتك بهما، مع رفع مؤخر الطبق، لسد التجويف الأنفي، وإهمال الأوتار الصوتية بجعلها لا تتذبذب[4].

ونظير هذا الصوت المجهور لا وجود له في اللغة العربية، وإنما يوجد في اللغات الأوربية، وهو صوت (v) في الإنجليزية وصوت «w» في الألمانية، فهذا الصوت يشبه الفاء العربية في كل شيء، إلا أنه يختلف عنها في أن الوترين الصوتيين يهتزان معه، ولذا فإنه صوت مجهور، في حين أن الفاء العربية صوت مهموس[5].

«وينطق اليابانيون صوت الفاء بطريقة تجعلها شفوية صرفة مهموسة احتكاكية عن طريق إرسال الهواء من بين الشفتين شبه المفتوحتين، كما يحدث حينما تحاول إطفاء عود كبريت. أما الإسبانيون فينطقون الـ (v) بنفس الطريقة، مع تذبذب

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 46.
(2) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 46، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 315.
(3) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43.
(4) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 47.
(5) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43، و والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 47.

الوترين الصوتيين، ليحدث الجهر»[1].

**والواو (w) الشفوية**: هي التي نعني بها هنا ضمن الأصوات الصامتة، الواو في مثل: «واحد» أو «ولد» ونحو ذلك. وهو صوت شفوي مجهور، بينه وبين صوت الضمة الخالصة -وهو من الأصوات المتحركة- فرق بسيط جدا[2]. وعدَّه الدكتور أحمد مختار عمر من أنصاف العلل، وصَنَّفه من الأصوات الطبقية مخرجًا، إلى جانب خمسة أصوات مخرجها الطبق اللين مع مؤخر اللسان وهي: (صوتا العلة الضمة وواو المد، والكاف، والخاء، والغين)[3].

والفاء (f) والواو (w) بهذا التحديد والوصف موجودان حقيقة في اللهجة البغدادية المعاصرة -محل البحث-، ويقع عليهما من التبدلات الصوتية ما يمكن ملاحظته ورصده أيضًا، وهذا ما سيتضمنه المبحث الثاني من هذا البحث، مضافًا إلى ما سبقت الإشارة إليه حول التبدلات الصوتية التي تطرأ على صوتي الباء (B) والميم (m).

**المطلب الثاني: الإبدال بين الأصوات الشفوية:**

ما نعنيه بالأصوات الشفوية هنا، هي الأصوات التي يكون مخرجها الشفة وهي: الباء والميم[4]، إضافة إلى صوت الواو الذي ينتمي إلى الأصوات الصامتة[5]، وكذلك يدخل في الأصوات الشفوية، الصوت الذي تشترك الشفة في إنتاجه مع الأسنان، وهو في العربية: صوت الفاء فقط[6].

وقد حافظت اللهجة البغدادية المعاصرة المنحدرة من العربية الفصحى على هذه المجموعة الصوتية، فما زالت الباء والميم ومثلهما الواو والفاء أصواتًا منطوقة في اللهجة البغدادية، مشتركة في بناء الكلمة العربية الدارجة.

وقد يقع الإبدال الصوتي أو التعاقب والتناوب بين أصوات هذه المجموعة، فيحلُّ بعضها محل بعض في بعض الكلمات، ومُسوِّغ ذلك الأبرز هو التقارب المخرجي بين هذه الأصوات الأربعة، وقد تُبدل هذه الأصوات المذكورة أصواتاً أخرى ليست من زمرتها الصوتية، لكنها قريبة منها مخرجًا؛ لذلك ساغ هذا الإبدال -وإن كان قليلًا- في اللغات وما تفرع عنها من لهجات، كإبدال الباء نونا مثلًا، أو إبدال الفاء ثاءً، كما سيأتي ذكر ذلك بشواهده المرصودة من اللهجة البغدادية المعاصرة.

وقد حدث في عدة لغات تبادل مواضع بين سواكن من المجموعة الشفوية، وكذلك بينها وبين صوت المد الشفوي (w) ولكنا لسنا دائمًا في وضع يسمح بعزو هذا التبادل إلى أسباب لغوية واضحة المعالم[7]. فدواعي الإبدال وأسبابه متعددة، وكثيرًا ما تخرج عن التعليل اللغوي المحض.

وما رصدناه من تبدلات صوتية في اللهجة البغدادية المعاصرة فيما يخص الأصوات الشفوية تحديدًا ما يأتي:

1. إبدال الباء فاءً.
2. إبدال الباء نوناً.
3. إبدال الميم باءً.
4. إبدال الميم نوناً.
5. إبدال الفاء ثاءً.
6. إبدال الفاء ميمًا.

(1) أسس علم اللغة، ماريو باي: 83-84.
(2) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43، والمدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري: 95.
(3) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر: 313 و 318.
(4) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 46.
(5) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب: 42 - 43.
(6) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 47.
(7) ينظر: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موسكاني وآخرون: 50.

7. إبدال الواو ميماً.

وسأبحث كل صورة من هذه التبدلات باستقلال، مُعلِّلًا لذلك الإبدال الصوتي ما أمكن من تعليلات لغوية أو غير لغوية، مستشهدًا بمجموعة ما رصدته من مفردات بغدادية معاصرة خضعت لهذه الظاهرة اللغوية الصوتية، محاولًا رصد ما شابهها من تبدلات صوتية طرأت على مفردات وأصوات العربية الفصحى واللغات السامية.

**أولًا: إبدال الباء فاءً:**

الباء صوت شفوي والفاء صوت شفوي أسناني كما مرَّ تقرير ذلك، وهذا الاشتراك أو التقارب المخرجي بتعبير أدق يُرخِّص التبادل بين الصوتين في بنية الكلمة الواحدة، ولقد رصد البحث بعض الألفاظ النادرة في اللهجة البغدادية، التي وقع فيه إبدال الباء فاءً، وقد يوجد ذات اللفظ في ذات اللهجة مستعملًا بصورتين، يُنطق بالباء مرةً وبالميم مرةً أخرى، وهذا ما يمكن تسميته بالتناوب أو التعاقب الصوتي، مع الاختلاف في البيئات التي يحصل فيها هذا الإبدال أو التعاقب، ومما ورد من ذلك في اللهجة:

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| بختة[1] | فختة[2] |
| كَنَبَة[3] | قَنَفَة |

وقد يكون لأخطاء السمع دور في هذا النحو من الإبدال في اللهجة البغدادية، مما يجعل الصوتين يتناوبان في الاستعمال الصوتي حتى مع اتحاد البيئة اللغوية، فيقول الدكتور رمضان عبد التواب: «وإلى هذا السبب –وهو الخطأ السمعي–، يرجع في نظري معظم ما يسمى أمثلة ما يسمى في اللغة العربية:

(1) هو لفظ يطلق على شدة استواء الطعام وترهله، وغالباً ما يُطلق على اللحم. وقد جاء في اللسان: أن البُخْت والبُخْتِيَّة دخيل في العربية، أعجمي معرب، وهي الإبل الخراسانية، تنتج من بين عربية وفالج؛ وبعضهم يقول: إن البخت عربي... والواحد منه بختي، جمل بختي وناقة بختية. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (بخت) 2/ 9. وذكر اللفظ الدكتور مجيد محمد في معجمه. ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الأجنبية في اللغة العامية العراقية، مجيد محمد: 59.

(2) جاء في اللسان: الفاختة: واحدة الفواخت، وهي ضرب من الحمام المطوق، وقيل: إن الفاختة مشتقة من الفخت الذي هو ظل القمر، وفخت رأسه بالسيف فختا: قطعه. وفخت الإناء فختا: كشفه. والفخت: نشل الطباخ الفدرة من القدر. ويقال: هو يتفخت أي يتعجب، فيقول: ما أحسنه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (فخت) 2/ 65. نلاحظ هنا أن الفخت له علاقة بالطبخ والقدر فمن الممكن أن يكون لفظ «فختة» هو الأصل.

(3) الكَنَبَة: أَريكة مُنَجَّدة تَتَّسِع لأكثر من شخص. وهي كلمة لم ترد في المعاجم القديمة لكنها وردت في بعض المعاجم الحديثة بهذا المعنى. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 2/ 800، ومعجم متن اللغة، أحمد رضا: 5/ 107، ومعجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر: 1/ 626.

بحالات تعاقب الأصوات... وذلك نحو: فوم وثوم، والحفالة والحثالة للرديء»[1].

وقد شهدت العربية الفصحى نحوا من هذا الإبدال الصوتي كما رصدته لنا المعاجم اللغوية، فقد وقفت الدكتورة آمنة الزعبي[2] على مجموعة من المصطلحات التي تستعمل بالباء مرة وبالفاء مرة وهما بمعنى واحد، ومن ذلك : برتكت الشيء برتكة، وفرتكته فرتكة، إذا قطعته قطعاً صغيرة، مثل الذر[3]. وبرعه وفرعه، إذا علاه وفاقه، وكلُّ مُشرفٍ بارعٌ وفارعٌ[4].

ويُقال: بحرٌ زَغْربٌ وزَغرفٌ، وَمثله: ضَبَرَ وضَفَرَ إذا وثبَ، ويُقال لولد الضَّبع: فُرْعلٌ وبرعلٌ[5]. والزَّغْرَبُ: الماء الكثير. وبَحْرٌ زَغْرَبٌ: كثير الماء، وعَيْنٌ زَغْرَبةٌ: كثيرة الماء، وكذلك البئر، ورَجُل زَغْرَبُ المَعْروف: كثيره[6].

ومن المُعَرَّب البِرقِلَة والفِرْقِلَة، تُنطق بالباء والفاء، وبِرْقِيلُ: هو قوس البُنْدُق[7]. ويقال: عجوزٌ هِرْشَفَّةٌ وهِرْشبّةٌ، أي: باليةٌ، كبيرة[8]، وقالوا: قفِصَ وقبِصَ إذا عرِيَتْ معدتهُ[9]. ويقال: العَسْقَفةَ والعَسْقَبَةُ، وهي جُمُودُ العين في وقت البكاء، وقيل بالباء أصوب[10]. وغير هذه الشواهد كثير في المعاجم العربية.

ويقرر الدرس التاريخي للأصوات أنَّ السامية الأم كانت تحتوي على صوتين شديدين، أحدهما مجهور وهو الباء «b»، والآخر مهموس وهو الپاء «p»، والأخير كان عرضة للتغير، فقد تحول تحولاً مطلقاً إلى الفاء في لغات المجموعة الجنوبية العربية ولهجاتها والعربية الجنوبية ولهجاتها والأثيوبية ولهجاتها[11].

وأما في المجموعة الغربية الشمالية، فقد وقعت تحت تأثير تغير سياقي مختلف عن المجموعة الجنوبية، إذ إن الپاء تتغير إلى الفاء إذا وقعت بعد حركة؛ لأنها من الأصوات ذات النطقين التي تسمى حروف (بجد كپت) فأصوات هذه المجموعة تتغير إلى نظائرها الاحتكاكية إذا جاءت بعد حركة قصيرة أو طويلة، خالصة أو ممالة، فتتغير إلى (v)[12].

**ثانيًا: إبدال الباء نوناً:**

ذكرنا أن الباء صوت انفجاري شفوي مجهور أما صوت النون فهو صوت لثوي أنفي مجهور[13]، والشفوي واللثوي مخرجان، والتقارب بينهما ليس واضحًا، لذلك نَدُرتْ شواهد هذا الإبدال في اللهجة البغدادية، وإن وجدنا لفظًا من ذلك، فمن شواهد هذا الإبدال أو التعاقب بين الصوتين في اللهجة البغدادية المعاصرة:

(1) التطور اللغوي، رمضان عبد التواب: 187.
(2) ينظر: التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 142.
(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (برتك) 10/ 400.
(4) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (برع) 8/ 8.
(5) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: باب الغين والزاي مادة (زغرف) 8/ 198.
(6) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (زغرب) 1/ 451.
(7) ينظر: تاج العروس، الزبيدي: مادة (برقل) 28/ 77.
(8) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: باب الهاء والشين مادة (هرشب) 6/ 274، وتاج العروس، الزبيدي: مادة (هرشب) 4/ 393.
(9) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: باب القاف والصاد مادة (قفص) 8/ 293.
(10) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (عسقب) 1/ 601.
(11) اللغة الكنعانية، يحيى عبابنة: 126، واللغة المؤابية، يحيى عبابنة: 49-50.
(12) اللغة الكنعانية، يحيى عبابنة: 126.
(13) ينظر: أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب: 202 و 203.

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| ذُبابة | ذِبّانة |

وقد ذكر دُوزِي (ت1300هـ) أن ذُبَّان: عامية ذُبَاب[1]، وجعل الفيومي (ت770هـ) الذبان جمع كثرة للذباب كما يقال في غراب: غربان، وفي القلة أَذِبَّةٌ[2]. ويقول الجوهري (ت393هـ): «الذباب معروف، الواحدة ذبابة ولا تقل ذبانة، وجمع القلة أذبة والكثير ذبان»[3]، أما أبو هلال العسكري (ت395هـ) فيقول: «الذُّبابُ واحدٌ، والجمع ذبَّانٌ. والعامَّةُ تولُ: ذبَّانة للواحدِ، والذُّبابُ للجميعِ، وهوَ خطأ»[4].

والذي يظهر أن النون في «ذبانة» هو من قبيل التوهم والخطأ، وما يمكن تسميته بالقياس الخاطئ، فلا يقال في مفرد الذباب ذبانة، لذلك يقول ابن الحنبلي (ت971هـ): «ذُبّانةٌ أو ذُبّان على توهم الذُبّانَة، بالنون، واحدة الذُبّان، كالذُبَابة، واحدة الذُبَاب، والصواب أن يقال: ذُبَابةٌ أو ذُبَابٌ، بالباء دون النون. نعم يُقالُ: ذِبّان، بالكسر، في جمع ذُباب، كغِربانٍ في جَمْع غُرابٍ. فلا يقال: ذِبّانةٌ، بالكَسْر»[5].

وعلى هذا يمكن عدُّ هذا النوع من الإبدال بأنه من قبيل التوهم والخطأ، ولا علاقة له بالإبدال الصوتي المسوَّغ صوتيًّا؛ إذ لا تقارب بين مخرج الصوتين، وهو ما يجيز عادةً هذا النوع من الإبدال، لذلك تقول الدكتورة آمنة الزعبي في إبدال الفاء نوناً: «وهذا التغير غير مرغوب فيه، كما يثبت أن اللغات السامية لم تلجأ إليه»[6].

ومن المقبول كما يبدو لي تفسير التعاقب بين الباء والنون في كلمة (ذبابة) على أنه من قبيل المخالفة الصوتية بين أصوات المفردة الواحدة، فإنَّ قانون المخالفة الصوتي يعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة من الكلمات فيُغيِّر أحدهما إلى صوت آخر، يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة المائعة، المعروفة في اللاتينية باسم: (Liquida) وهي: اللام والميم والنون والراء[7]. والنون هي ما آل إليه الأمر في مثالنا.

فالعربية تحرص في بعض الأحيان على المخالفة؛ لما تؤمنه من تنوّع موسيقي محبب، تظهر معه الأصوات على حقيقتها نطقًا وسمعًا، وهذه الظاهرة هي أثر من آثار قانون الاقتصاد في الجهد الذي يشيع في معظم اللغات[8].

ويشير برجشتراسر إلى أن التخالف نادر في اللغة العربية بالنسبة إلى بعض اللغات السامية خصوصًا الأكدية والآرامية[9]. ومن أمثلة قانون المخالفة الصوتي بين السامية والعربية كلمة: (شمس) فهي في السامية الأولى (شمش) كما في الأكادية والعبرية والآرمية، وكذلك كلمتا: (سنبلة) و (قنفذ) حدثتا في اللغة العربية بطريق المخالفة الصوتية من كلمتين كانت الباء فيهما مشددة، فكلمة (سنبلة) يوافقها

(1) تكملة المعاجم العربية، دُوزِي: 5/ 10.
(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي: مادة (ذبب) 1/ 206، ومختار الصحاح، الرازي: مادة (ذبب) 111.
(3) الصحاح، الجوهري: مادة (ذبب) 1/ 126.
(4) التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال العسكري: 390.
(5) سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، ابن الحنبلي: 37.
(6) التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 141.
(7) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالتواب: 57.
(8) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي الشايب: 298.
(9) ينظر: التطور النحوي، برجشتراسر: 35.

في العبرية: Šibbōleṯ وكلمة (قنفذ) يوافقها في العبرية: kippō d ḵ[1].

وقد رصدت لنا المعاجم العربية بعضًا من هذا الإبدال الصوتي أو التناوب بين صوتي الباء والنون، فقد قال ابن الأعرابي: يقال نَخَع فلان لي بحقي ونَخَع إذا أذعن[2]. ويقال: نَخَّسَ المُخُّ تَنْخِيساً: بمعنى بَخَّسَ، أي نقص ولم يبق إلا في السُّلامَي والعين[3]. وابْتُقِعَ لونُه، بالضَّمّ، مثل انْتُقِعَ وامْتُقِع. بالباء وَالنون والميم، أَيْ تَغَيَّرَ[4].

والزُّنانَى، كزُبانَى: شبه المُخاط يقعُ مِن أُنوف الإبل[5]، والزِّنِّيُن، كسِكِّيت: الحاقِنُ لبوله وغائطه، ويقالُ: هو بالباء والنُّون -زِنِّينُ وزِبِّينُ-[6]. قال ابن منظور: «الزِّبِّين الدافع للأخبثين وهو بوزن السجيل، وقيل: بل هو الزِّنِّينُ، بنونين، وقد روي بالوجهين في الحديث، والمشهور بالنون»[7].

ومنه حديث الصدقة «كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد» أي وقايتان. ويروى بالباء الموحدة –جبتان–؛ تثنية جبة اللباس[8].

**ثالثًا: إبدال الميم باءً:**

الميم والباء صوتان شفويان، مخرجهما واحد، غير أنَّ الميمي يوصف بأنه صوت أنفي أيضًا، ويُنطق بأن تنطبق الشفتان تمامًا، فيحبس خلفهما الهواء، ويخفض الطبق، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف[9]. وقد وقع الإبدال والتعاقب بين هذين الصوتين في اللهجة البغدادية المعاصرة، ولا ريب من وقوعه في الفصحى أيضًا، ومن شواهد هذا الإبدال في اللهجة البغدادية:

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| مَع السلامة | بَع السلامة |
| مسمار | بسمار |
| مخلمة[10] | بخلمة |
| مَكان | بكان |
| بيكب[11] | بِيكم |

وهذا الابدال الذي سعت نحوه اللهجة البغدادية في بعض المفردات العربية أو الدخيلة، ليس غريبًا على اللغة العربية الفصحى، ولا عن اللغات السامية عموماً؛ فقد سعت العربية الفصحى وكثير من اللغات المنتمية للعائلة السامية

(1) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالتواب: 58.
(2) تهذيب اللغة، الأزهري: مادة (خنع ونخع) 1/ 116.
(3) تاج العروس، الزبيدي: مادة (نخس) 16/ 544.
(4) تاج العروس، الزبيدي: مادة (بقع) 20/ 350.
(5) تاج العروس، الزبيدي: مادة (زنن) 35/ 156.
(6) تاج العروس، الزبيدي: مادة (زبن) ومادة (بقع) 35/ 136 و 157. قال ابن الجوزي: في الحديث (لا تقبل صلاة الزبين) وهو الذي يدافع الخبيثين كذا روي والصحيح (الزنين) بالزاي والنون. ينظر: غريب الحديث، ابن الجوزي: 1/ 431.
(7) لسان العرب، ابن منظور: مادة (زبن) 13/ 195.
(8) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: 1/ 308.
(9) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43.
(10) هي أكلة بغدادية شهيرة، مكونة من البيض واللحم المقطع وبعض الخضار.
(11) وهو لفظ دخيل على اللهجة من اللغة الإنجليزية، و مصطلح (pickup) أو (pick - up) هي السيارة المخصصة للأحمال، أو كما جاء في معجم المعاني: الشاحنة الصغيرة أو سيارة تحميل، واللفظ منتهٍ بالباء المهموسة ويلفظ بالباء العربية في اللهجة أحيانة، وقد يُبدل الباء بصوت الميم، فيقول العامة (بِيكَم).

نحو هذا التبدل، ومن أمثلة هذا التبدل في العربية الفصحى على سبيل المثال: مكَّة وبكَّة[1]، قالو: «بكة ومكة اسمان لمسمى واحد، فإن الباء والميم حرفان متقاربان في المخرج فيقام كل واحد منهما مقام الآخر فيقال : هذه ضربة لازم ، وضربة لازب، ويقال: هذا دائم ودائب ، ويقال : راتب وراتم»[2].

ومن ذلك أيضًا الخربشة والخرمشة، قال ابن منظور: «والخَرْبَشةُ والخَرْمَشةُ الإفساد والتشويش»[3]. ومنها الحثلم والحثلب، جاء في المخصص: « الحثِلم ما يبقى في أسفل القارورة من عكَر الدُهن ولا يكون إلا من طيب، وهو الحثلِب»[4].

ومن ذلك: باسمك: ما اسمك، وروى الأصمعي: معكوكة: بعكوكة[5]. وروى أبو عمرو الشيباني: ما زلتُ رأتمًا على هذا: رأتبًا. يريد مقيمًا[6]. ونغم ونغب بمعنى جُرعة[7].

قال أبو بكر الأنباري (ت328هـ): «عن اللحياني قال: يقال: بَغْدان، ومَغْدان، للمجانسة التي بين الباء والميم، كما يقال: با اسمك؟ وما اسمك؟ وعذاب لازب، ولازم، في حروف كثيرة»[8].

وأبدلت الباء من الميم في لفظ (متاع) في لهجة أهل مصر للدلالة على المِلكية، فصارت (بتاع) نحو: الكتاب بتاعي، الحقيبة بتاعهم. ويقابل هذا الاستعمال في لهجة بلاد الشام لفظ (تبع) على وزن (فَعَل)، تضاف إلى الضمير بحسب الحال، فيقال: الكتاب تبعي، الحقيبة تبعهم[9].

ورُوي إبدال الباء من الميم في مثل: إربد: أرمد، بنات مَخْر: بنات بَخْر يعني السُحُب، وبعض العوام يبدلون الباء من الميم في عبارة (الأمن العام) فيقولون: (الابن العام) أو (ابن العام)[10].

أما شواهد هذا التبدل في اللغات السامية فقد عُثر على مثال واحد من اللغة النبطية فيه هذا الإبدال؛ لقلة النقوش النبطية المكتشفة على المستوى اللغوي والأدبي، وهذا المثال هو كلمة (zmn) بمعنى زمن أو وقت، فقد جاء في نقش آخر (zbn) بالباء[11].

ولعل اشتراك مخرج الصوتين وهو كون الصوتين من الشفة، إضافة إلى السياق الصوتي وأخطاء السمع، هو من ساعد على حصول هذا التبدل أو التعاقب، فقضية الإبدال بينهما هي قضية تعاقب غالبًا، لا جنوح نحو التخلص من أحدهما؛ لأن الصوتين يُصنَّفان من الأصوات اليسيرة والسهلة في النطق، ومن ثم فإن اللغة لا تسعى للتخلص منهما، بدليل أنهما موجودان في أغلب اللغات البشرية[12].

(1) ينظر: المخصص، ابن سيدة: 4/ 117،ولسان العرب، ابن منظور: مادة (بكك) 10/ 402. قال ابن سيدة: وسُميت بكَّة لأنّ النّاس يتباكُّونَ فيها أي يتزاحمون انتهى. وفي سبب تسميتها بكَّة أقوال كثيرة ذكرها الرازي في تفسيره. ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 8/ 299.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي: 8/ 299.

(3) لسان العرب، ابن منظور: مادة (خربش) 6/ 295.

(4) المخصص، ابن سيدة: 3/ 277.

(5) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 160.

(6) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 163.

(7) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 163.

(8) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري: 2/ 387.

(9) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 161.

(10) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 161.

(11) ينظر: اللغة النبطية، يحيى عبابنة: 159.

(12) ينظر: التغير التاريخ للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، آمنة الزغبي: 137.

**رابعًا: إبدال الميم نوناً:**

الميم والنون صوتان أنفيان، لتسرب الهواء من الأنف عند النطق بهما[1]، وزيادة على ذلك فإن بينهما تقاربًا من حيث المخرج إلى حدٍّ ما، أو شبه تقارب؛ فالنون صوت لثوي[2]، والميم صوت شفوي[3]، والإبدال يُرَخَّص بين أصوات المخرج الواحد، أو المخارج المتقاربة أحيانًا، إضافةً إلى التوافق في الصفات، ولأجل هذا التقارب والتوافق الأنفي وأثره على السمع ساغ التناوب والتعاقب والإبدال بين الصوتين في بعض الكلمات، وهو نوعٌ من المماثلة الصوتية في بعض الألفاظ.

ومما جاء في اللهجة البغدادية المعاصرة شاهدًا لهذا النوع من الإبدال:

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| تمطر | تنطر |
| ممتاز | منتاز[4] |
| و «صَوْم» النعامة[5] | صُون |
| قُنبلة[6] | قمبلة |

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 21 و 46.
(2) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب: 47.
(3) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: 183.
(4) قد يكون لقانون المخالفة الصوتي الذي أشرنا إليه سابقًا دورٌ في مثل هذا الإبدال، وذلك بإبدال أحد الميمين صوتًا آخر، وهو النون هنا.
(5) ذكرها ابن قتيبة في «الفروق في الأرواث». ينظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة: 172. ويطلق أهل الأرياف في ضواحي بغداد لفظ «الصون» على روث الحمير غالبًا.
(6) في هذه المفردة إبدال النون ميماً. والقُنبلة في اللهجة البغدادية تعني: المتفجرات. وهنا يظهر دور المماثلة الصوتي، لتوافق الميم الشفوية صوت الباء الشفوي بعدها.

وقد أبدلت الميم من النون في نحو: ممبر: عنبر، وشمباء: شنباء، ومثله: طامة: طانة أي جبَلة[7].

قال نشوان الحميري (ت573هـ): «وتُبدَلُ الميم من النون إذا كانت النون ساكنة، وكانت بعدها باء في مثل: عَنْبَر، قَنْبَر، وشَنْبَاء من: شَنَبِ الأَسنان، فيقال: عَمْبَر، وقَمْبَر، شَمْبَاء، بالميم»[8].

ويميل بعض سكان محافظة الكرك في الأردن في منطقة لواء المزار ولواء القصر والأغوار إلى إبدال النون ميمًا في بعض الألفاظ مثل: عَنْبر: عَمبر، وشَنْبر: شَمبر، وهذا الإبدال تجيزه القوانين الصوتية، ويعود إلى عملية المماثلة، إذ إنَّ النون تتماثل مع الباء في صفة الشفوية فتقلب ميمًا بالإضافة إلى أن الصوتين أنفيان، بمعنى أن المكان الذي يتسرب منه تيار الهواء عند نطق هذين الصوتين هو الحجرة الأنفية وهذا هو السر في إبدال النون ميما[9].

ويعلل ابن جني (ت392هـ) هذا الإبدال بقوله: «وأما إبدال الميم من النون؛ فإن كل نون ساكنة وقعت قبل باء قبلت في اللفظ ميمًا وذلك نحو عنبر، وامرأة شنباء، وقنبر، ومنبر، وقنب، وقنبلة، ونساء شنب؛ فإن تحركت أظهرت، وذلك نحو قولك: شنب، وعنابر، وقنابر، ومنابر، وقنابل؛ وإنما قبلت لما وقعت ساكنة قبل الباء من قبل أن الباء أخت الميم، وقد أدغمت النون مع الميم في نحو: من معك، ومن محمد؛ فلما كانت تدغم النون مع الميم التي هي أخت الباء أرادوا إعلالها أيضًا مع الباء إذ قد أدغموها في أختها الميم، ولما كانت الميم التي هي أقرب إلى الباء من النون؛ لم تدغم في الباء

(7) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 162-163.
(8) ينظر: شمس العلوم، نشوان الحميرى: 1/ 66.
(9) ينظر: لهجة الكرك، عبدالقادر مرعي ويحيى القاسم: 71.

في نحو أقم بكرًا، لا تقول: أقبكرًا، ولا في نم بالله: نبالله، كانت النون التي هي من الباء أبعد منها من الميم أجدر بأن إعلال الإدغام، فقربوها من الباء بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء، وهو الميم، فقالوا: عمبر، وقمبلة»[1].

وتقول العرب: شاةٌ مُمغر، ومُنغِرٌ وقد أمغرتْ وأنغرت بالميم والنون، إذا حلبت لبناً يخلطه دمٌ[2]، ويقولون: إداوَةٌ مقموعة ومقنوعة: إذا خُنِثَ رَأسهَا[3]. والحُلاَّمُ والحُلاَّنُ: صغار الغنم[4].

والتَّرْقِيمُ والتَّرْقِينُ: علامةٌ لأهل ديوان الخَرَاج ومن اصطلاحاتهم، وذلك بأن تُجْعَل على الرّقاع والتَّوْقِيعات والحُسْبَانَات لئلَّا يُتَوَهَّم أنه بُيِّض كَيْلا يَقَع فيه حِسابٌ[5].

ومن شواهد هذا الإبدال في اللغة النبطية ما جاء في أسماء الأعلام (lntn<b) وهو اسم مركب من (l<b) اسم الإله، و (ntn) بمعنى هبة، فيكون معنى الاسم هبة الله أو عطية الله، وقد جاء أيضًا (lmtn<b) بالميم[6].

**خامسًا: إبدال الفاء ثاءً:**

الفاء صوت شفوي أسناني رخو مهموس مرقق[7]، والثاء صوت أسناني رخو مهموس مرقق[8]، يحدث بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء، ويكون معظم جسم اللسان مستويا، يرفع الحنك اللين، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان[9].

«وتدل مقارنة مجموعة من الألفاظ الأساسية في اللغات السامية والتي جاء في العربية صوت الثاء أن الأكادية تعرف مكانها صوت الشين، وأن العبرية تعرف في مكانها الشين أيضًا، لكن الآرامية تعرف التاء، والحبشية تعرف السين في نفس المواضع»[10].

والصوتان –الفاء والثاء– من مخرجين مختلفين، وبذلك ليس من الواضح حدوث الإبدال بين الصوتين، ولا من السائغ صوتيًّا جنوح اللغة نحو هذا الإبدال أو التعاقب، إلا إذا قلنا بتقارب المخارج، ولذلك فهو نادر جدًا في اللهجة البغدادية، حيث رصد البحث لفظًا واحدًا لهذا الإبدال، وقد يرجع ذلك إلى أخطاء السمع أيضًا، وإن كانت الفصحى قد عرفت هذا النحو من الإبدال لكن على نطاق ضيق وبشواهد نادرة.

وشاهد هذا الإبدال في اللهجة البغدادية قولهم:

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| فيهالله[1] | ثيهالله[2] |

(1) سر صناعة الإعراب، ابن جني: 2/ 96.
(2) ينظر: المذكر والمؤنث، أبو بكر الأنباري: 2/ 94.
(3) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: (باب العين والقاف مع الميم) مادة (قمع) 1/ 193.
(4) ينظر: الصحاح، الجوهري: مادة (حلم) 5/ 1904.
(5) ينظر: تاج العروس، الزبيدي: مادة (رقم) 32/ 278.
(6) اللغة النبطية، يحيى عبابنة: 158.
(7) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43.
(8) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 44.
(9) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: 144.
(10) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي: 198.
(1) تستعمل هذه العبارة كتحية قبل الانصراف، وهي تعني: في أمان الله، إلا أن البلى اللفظي قد أحالها إلى هذا اللفظ بعد إسقاط بعض أصوات اللفظ.
(2) ويبدو أن هذا الإبدال الصوتي هو من قبيل أخطاء السمع لعدم وجود مبرر صوتي لهذا الإبدال، ولم نرصد في اللهجة ما يدل على هذا الإبدال غير هذا اللفظ.

وقد جاء في قراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما {من كل جدث} بالجيم والثاء المثلثة، وهو القبر[1]. وقرئ بالفاء. والثاء للحجاز، والفاء لتميم، وهي بدل من الثاء كما أبدلوا الثاء منها قالوا: المغثور، وأصله مغفور[2]. قال ابن جني (ت392هـ): «والجدث والجدف لغتان في القبر قد تكون فاء جدف بدلا من ثاء جدث»[3].

ويُقال: اغْتَثَّت الخيل: أصابت شيئًا من الربيع، كاغْتَفَّتْ. وهي الغُفَّة والغُثَّة، جاء بهما بالفاء والثاء[4]. ويقال للحَدِيدِ اللَّينِّ: أَنِيفٌ وأَنِيثٌ[5].

وقال الأصمعي: يقال: «ثار ثائره»، وفار فائره، بالثاء والفاء، وهاج هائجه، إذا استقل غضبا[6]. والفوم: الخبز والحنطة، ويقال: هو الثوم، بالثاء، والفاء بدل من الثاء[7]. ولم أرصد نحوًا من هذا الإبدال في الكتب التي تعنى باللغات السامية.

**سادسًا: إبدال الفاء ميمًا:**

عرفت اللهجة البغدادية الإبدال والتعاقب بين الصوت الشفوي الأسناني –الفاء– والصوت الشفوي –الميم–، وإن كان هذا الإبدال لا يحصل إلا نادرًا في اللهجة على وفق رصدنا لهذه الظاهرة الصوتية. فقد جاء في اللهجة قول البغداديين:

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| قَفَزَ | گُمَز[8] |

وقد جاء في المعجم العربي قول العرب: غلام أُملودٌ وأُفلوذٌ، إذا كان تامّاً محتلماً شَطْباً[9]. وفي الغِرارة ثُفْلة من تمر، وثُمْلة من تمر؛ أي: بقيّة منه[10].

**سابعًا: إبدال الواو ميماً:**

المراد بالواو هنا الصوت الذي يندرج ضمن الأصوات الصامتة، ويرمز له بالرمز (w)، وهو صوت شفوي مجهور[11] والميم من الأصوات الشفوية أيضًا، وقرب المخرج على هذا النحو مسوغ مُعتبر لوقوع هذا التعاقب والإبدال بين الصوتين، ومن شواهد ذلك في اللهجة البغدادية:

| اللفظ الأصلي | اللفظ البديل |
|---|---|
| جَوّي[12] | جَمّي |
| وَصَّخ[13] | مَصَّخ |

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري: 3/ 135، والمحرر الوجيز، ابن عطية: 4/ 100، والبحر المحيط، أبو حيان: 7/ 467.
(2) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان: 7/ 467.
(3) المحتسب، ابن جني: 2/ 390.
(4) لسان العرب، ابن منظور: مادة (غثث) 2/ 172.
(5) لسان العرب، ابن منظور: مادة (أنف) 9/ 15.
(6) كتاب الألفاظ، ابن السكيت: 57.
(7) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري: 1/ 450.
(8) وهم يبدلون القاف أيضًا جيماً سامية (g – گ).
(9) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: باب الدال واللام مادة (ملد) 14/ 94.
(10) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري: باب الثاء واللام مادة (ثلف) 15/ 67.
(11) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب: 43.
(12) جَوّي. أي: جاءوا. يقول البغداديون: جَوّي الشباب، وقد يبدلون الواو ميماً، ويكثر ذلك الإبدال في ضواحي بغداد وأريافها.
(13) من الوساخة. يقولون: الطفل وَصَّخ المكان، ومَصَّخ المكان.

وفي العربية الفصحى من نحو هذا الإبدال قولهم: فم وفوه[1]. وجاء في اللغة أيضًا: جَثَمْتُ وجثوتُ، وسير مخطٌ ووخطٌ: سريع شديد[2].

و(فم) واحد الأفواه: فَمٌ. وأصله: فَوْهٌ، بوزن: سَوْطٍ، فحُذِفت الهاء تخفيفًا فصار التقدير: فَوْ. فلما صار الاسم على حرفين، لا ثاني منهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين، فَيُجْحِفُوا به، فأبدلوا من الواوِ مِيْمًا لقرب الميم من الواو؛ لأنهما شفويتان، وفي الميم هُوِيٌّ في الفَمِ يضارع امتداد الواو[3].

وفي العبرية (**argé wān** <) أي: أرجوان، وفيها ( **arg ā wān** <) وهي في الأكادية (**argamannu**) بالميم أيضًا، وأما السريانية فقد جاءت فيها بالواو ( **argé wānā** <)، أي أن التحول كان من الواو إلى الميم في العبرية وأكادية في هذه الكلمة[4].

## الخاتمة

بعد رِحلة تنظيرية وتطبيقية وصفية تفسيرية مع ظاهرة التبدلات الصوتية في اللهجة البغدادية المعاصرة ونظائر تلك الظاهرة في العربية الفصحى واللغات السامية أود أن ألخص أبرز النتائج التي خلُص إليها البحث:

**أولًا**: تسري على اللهجة البغدادية المعاصرة جملة المبادئ والقوانين الصوتية التي تضبط مسيرة التطور اللغوي الصوتي وتحكم مختلف لغات الأرض.

**ثانيًا**: لكل إبدال صوتي في اللهجة البغدادية جملة من الشواهد المماثلة في العربية الفصحى وفي اللغات السامية، مما يؤكد شيوع هذا النوع من الإبدال ووجود الدواعي لحدوثه في أي لغة من لغات العالم.

**ثالثًا**: التقارب في المخرج الصوتي هو المُسَوِّغ غالبًا لهذا النحو من الإبدال، ودواعي ذلك كثيرة، منها المماثلة الصوتية والمخالفة والقياس الخاطئ وأخطاء السمع وغيرها.

**رابعًا**: كثيرًا ما يحصل التعاقب والتناوب بين الصوتين في اللفظ الواحد وفي اللهجة الواحدة ضمن إطار الصراع اللغوي المرحلي للنمطين في انتظار اندثار وموت أحدهما بمرور الوقت.

**خامسًا**: التعاقب بين صوتين في لفظ واحد يكشف هذا النوع من التطور أو التبدل، وكثيرًا ما يكون حال الألفاظ التي يقع بين أصواتها التعاقب على هذا النحو.

**سادسًا**: أخطاء السمع علة مقبولة غالبًا يُرجع إليها حال عدم وجود مبرر صوتي واضح لوقوع الإبدال بين صوتين في لفظ واحد.

**سابعًا**: تجدر الإشارة إلى أن التبدلات الواقعة في اللهجة هي من قبيل التحولات المقيدة، ولم تكن مطلقة، فقد حافظت اللهجة على الأصوات التي وقع لها الإبدال أو التعاقب، إلا في مواضع نادرة وهي التي مرَّ ذكرها.

---

(1) ينظر: في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان: 160 و 160.

(2) ينظر: التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 149.

(3) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي: 5/ 542.

(4) ينظر: التغير التاريخي للأصوات، آمنة الزعبي: 149.

## المصادر


- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي حسن الشايب، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2004م.
- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة 2010م.
- أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكسلاني، الطبعة الثانية، 1968م.
- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2007م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التطور التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية ، آمنة صالح الزعبي ، دار الكتاب الثقافي ، الأردن ـ إربد ، 2005م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1417هـ ـ 1997م.

التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1994م.

- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)، تحقيق: لجنة علمية من جامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: 1300هـ) ، نشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية ، الطبعة: الأولى، من 1979 – 2000 م ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط.
- التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال العسكري (ت395هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الثانية، 1996م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لبنان – بيروت، 2009م.
- دراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، 1426هـ ـ 2005م.
- دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة: 1427هـ ـ 2006م.

دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966م.

- دواعي الإبدال في اللغة العربية، فاطنة أبو الغيث، بحث، مجلة عود الند، مجلة ثقافية شهرية، نشر: د. علي الهواري.
- الراموز على الصحاح، السيد محمد بن السيد حسن (ت866هـ)، تحقيق: محمد علي عبد الكريم الرديني، دار أسامة – دمشق، الطبعة: الثانية، 1986م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري (ت328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ 1992 –م.
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) ، تحقيق : حسن هنداوي، دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى: 1985م.
- سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، ابن الحنبلي محمد بن إبراهيم التاذفي (ت971هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، 1407هـ / 1987م.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ- 1987م.
- علم الأصوات، برتل مالمبرج، تعريب : د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1985م.
- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، 2000م .
- علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، الطبعة: الثانية، القاهرة 1997م.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- غريب الحديث، جمال الدين ابن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1405هـ – 1985م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت395هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- في صوتيات العربية، محي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان.
- كتاب الألفاظ، ابن السكيت (ت 244هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، 1998م.
- الكتاب، أبو بشر سيبويه (ت180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408هـ - 1988م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري (ت538 هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت : 1407هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى.
- اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، يحيى عبابنة، دار مجدلاوي، عمّان / الأردن، الطبعة : الأولى، 2003م.
- اللغة المؤابية في نقش ميشع دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء الفصحى واللغات السامية، يحيى عبابنة، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، الطبعة: الأولى 2000م.
- اللغة النبطية دراسة صوتية صرفية دلاليّة في ضوء الفصحى واللغات السامية، يحيى عبابنة، دار الشروق، عمّان / الأردن، الطبعة: الأولى 2002م.
- اللغة، جوزيف فندريس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص.
- لهجة الكرك - دراسة وصفية تاريخية في الأصوات والأبنية-، عبد القادر مرعي الخليل ود. يحيى القاسم، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى 1996م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني (ت 392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ- 1999م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ- 2000م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الخامسة1999م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت 458هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.

- المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى: 1425هـ ـ 2004م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة: 1417هـ ـ 1997م.
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موسكاني وآخرون، ترجمة: مهدي المخزومي وعبدالجبار المطلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
- المذكر والمؤنث، أبو بكر الأنباري (ت 328 هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث، 1401هـ – 1981م .
- المذكر والمؤنث، أبو بكر الأنباري (ت328 هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ومراجعة: رمضان عبد التواب، جمهورية مصر العربية – وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث، 1401هـ – 1981م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر ، سورية ـ دمشق ، الطبعة الثانية: 1427هـ ـ 2007م.
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر،، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1429هـ – 2008م.
- معجم المصطلحات والألفاظ الأجنبية في اللغة العامية العراقية، مجيد محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ، دار الدعوة ، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، 1377هـ – 1958م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ– 1979م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420هـ.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، 1986م.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (ت 833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى – تصوير دار الكتاب العلمية.
- النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغة السامية، يحيى عبابنة، منشورات جامعة مؤتة، الكرك / الأردن، 1997م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.